Jurnal Ilmiah Al-Mashadir: Journal of Arabic Education and Literature
2809-350x [Online] 2809-6312 [Cetak]
Tersedia Online: Al-Mashadir (iain-manado.ac.id)

التَّأويلُ اللُّغويُّ عندَ المَاتريديّ ت(٣٣٣)هـ وأثَرُه في المَسائِلِ العَقَديَّةِ (نماذج مِن تفسيرِه تأويلات أهل السُّنة)

أسَماء مُحمَّد سُليمان جاد
باحثة دكتوراه بكليةِ الآدابِ جامعة أسيوط– مصر
asmaaelasklany1@gmail.com

ملخص البحث

يحتوي البحث على ترجمة للإمام الماتريدي وحياته ودوره في تفسير القرآن الكريم، كذلك تعريف بالتأويل اللغوي وأقسامه ومجالاته وأقوال العلماء فيه ثم يتناول البحث إبراز دور التأويل اللغوي وأثره في توجيهِ معاني ألفاظِ القرآن الكريم عامة وآيات العقيدة خاصة ، وبيان كيف وظف الإمام الماتريدي التأويل اللغوي في الرد على آراء المذاهب العقدية في آيات صفات الله سبحانه وتعالى وذلك من خلال كتابه تأويلات أهل السنة والجماعة . ويليه خاتمة لما توصَّل إليه البحث.

الكلمات المفتاحية : التأويل اللغوي – المسائل العقدية – التفسير

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قرآنًا عربيًّا غيرَ ذي عوجٍ لعلهم يتقون. والصلاةُ والسلام على سيدنا محمدٍ أفصح مَن نطق الضاد سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياءِ والمرسلين وعلى آله وصحبهِ أجمعين حقّ قدره ومقداره العظيم.. وبعد..

إنَّ فهمَ القرآنِ الكريمِ يتفاوتُ بتفاوتِ النَّاسِ تبعًا لتباينِ استعدادِهم الفطريّ واطِّلاعِهم على لُغتِهم وأساليبِها ؛ وتفاوتُ النَّاسِ في فَهْمِ القرآنِ الكريمِ هوَ اختلافٌ في تفسيرِه في أذهانِهم بما يُلائِمُ نظرةَ كلِّ فكرٍ إلى النَّصِّ وما يُمليهِ عليهِ ثقافتُه ومستواهُ العقليُّ واستيعابُه له . والقرآنُ الكريمُ هو دستورُ الحياةِ والعقيدةِ للمسلمينِ ؛ وردتْ فيه آياتٌ أثارتْ جدلاً بينَ علماءِ المتكلمين فظهرتْ في آفاقِ الفكرِ الإسلاميّ مشكلاتٌ عقديَّةٌ خاصَّةً في الآياتِ التي تحدثتْ عن صفاتِ الخَالقِ وأسمائِه ؛ ونتيجةً لهذا التفاوتِ والاختلافِ اعْتَنى المتكلمون وعلماءُ التَّوحيدِ بالتَّأويلِ اللُّغويّ وجعلوهُ وسيلةً يُمكن بها تفسيرُ النصِّ القرآنيّ وفَهمه فهمًا سليمًا وبيانِ معناه الصحيحِ الذي يجبُ أنْ يُوجَّهَ إليهِ. ومِن هؤلاءِ العلماءِ الإمامُ الماتريديّ ت(٣٣٣)هـ الذي اتَّصَفَ تفسيرُه بالتَّجديدِ إذ جمعَ فيه بينَ العقلِ والنَّقلِ ، ويظهرُ ذلكَ في تَفريقِه بينَ التَّفسيرِ والتَّأويلِ ؛ فقد جعلَ التَّفسيرَ للصحَابةِ لأنَّهم شَهِدوا المشَاهِدَ وعلِموا الأمرَ مباشرةً من النَّبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) ، أمَّا التأويلُ فجعلَه بيانًا لمنتهى هذا الأمرِ وتوجيهِ الكلامِ إلى غايتِه الصحيحةِ فاتَّسَمتْ تأويلاتُه بالموسوعيَّةِ نتيجةً لتعددِ الرُّؤى اتجاهِ النَّصِ ، والموضوعيَّةِ العلميَّةِ المتناهيَّةِ في نسبةِ الأقوالِ إلى أصحابِها والإحالاتِ الدَّقيقةِ التي امتلأتْ بها تأويلاتُه ، فجاءَ هذا البحثُ لكي يُبرزُ أهميةَ التَّأويلِ اللُّغوي عند الإمامِ الماتريديّ وأثرَه في المسائلِ العقديَّةِ .

إشكالية البحث وأهدافه

يهدف البحث إلى توضيح الآتي:

١- التعرف على الإمام الماتريدي ودوره في إبراز عقيدة أهل السنة والجماعة .

٢- التعرف على التأويل اللغوي وأقسامه ومجالاته .

٣- بيان دور التأويل اللغوي في تفسير الآيات العقدية .

٤- الرد على أقوال المتكلمين من المرجئة وغيرهم في صفات الله عز وجل .

منهج البحث

اعتمدتُ في البحث على المنهج التحليلي من حيث جمع بعض الآيات التي تظهر فيها بعض صفات الله عز وجل وتفسير الماتريدي لها في كتابه (تأويلات أهل السنة) وإبراز دور التأويل اللغوي في تفسير هذه الآيات والرد على المذاهب العقدية الأخرى .

الإطار النظري

المحور الأول : نبذةٌ عن الإمامِ المَاتُريدي ومنهجهُ في التَّفسيرِ

أولًا : ترجمة مختصرة عن الإمامِ الماتريديّ

اسمه ولقبه هوَ محمد بن مُحَمَّد بن محمود أبو منصور المَاتُريدي[١] السَمَرْقَندي[٢] الحنفي المتَكلِّم[٣] ، لقَّبه أصحابه بألقابٍ مختلفةٍ منها (إمامُ الهدى) و(علمُ الهدى) و(إمامُ المتكلِّمين) و(مُصحِّحُ عقائد

[١] الماتريدي : نسبة إلى (ماتريد) بفتح الميم وسكون الألف وضم التاء وكسر الراء المهملة ويُقال لها أيضا (ماتريت) قرية قرب سمرقند وقد عبرت عنها المصادر بمحلةٍ قال عنها السمعاني :" قد تخرَّج منها جماعةٌ من الفضلاء ".

ينظر : اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الشيباني الجزري – دار صادر – بيروت – ٣ / ١٤٠

[٢] السمرقندي : يُنسب إلى أبو منصور الماتريدي أحيانا إلى (سمرقند) وأنه نشأ بها وهي أهم مدينة في ما وراء النهر قديما وحديثا. امتازت هذه المدينة بحسنها ومياها العذب باتفاق رحالة العرب والأوروبيين من قدامى ومحدثين ، والراجح في ضبط كلمة (سمرقند) فتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون آخرها دال مهملة (سَمَرْقَنْد) .

ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي – در الفكر – بيروت – ٣ / ٢٤٦

المتكلمين) و(رئيسُ أهلِ السُّنةِ) . وهذهِ الألقابُ تدلُّ على مكانتهِ ودورهِ البارزِ في نصرةِ السُّنةِ والدِّفاعِ عنها.[٤]

مولده في تاريخِ المفكرين والعظماءِ كثيرٌ من الاختلافِ خاصة في تواريخ ميلادهم وهذا ما حدثَ لأبي منصور الماتُريدي فلمْ تذكر سنة ميلاده كتبُ الحنفيةِ كالجواهر المضيئة لابن الوفاء والأنساب للسَّمعانيّ وطبقات الحنفيَّة لابن كمال باشا وغيرهم ؛ بل إنَّ المتكلمين مَمن نَصرُوا مذهبَه كأبي المعين النَّسفي ونور الدين الصَّابوني مرُّوا على صاحبهم مرورًا عابرًا .[٥]وإن أُريد تقدير ولادة أبي منصور فيُمكن معرفةُ ذلك بمعرفةِ تاريخِ وفاة بعض أساتذتِه ؛ فإذا كانَ أستاذه مُقاتل الرَّازي ت(٢٤٨)هـ وأستاذِه نصر البلحي ت(٢٦٨)هـ ويُعتبرُ أصغرُ سنٍّ يتقدَّمُ به المرءُ إلى مجالسِ العلمِ هي الخامسةُ ولا يبلغُ الثامنةَ إلا وقد حفظَ القرآن الكريمَ فيمكنُ القولُ إن أبا منصور الماتُريدي قد وُلِدَ عام (٢٣٨)هـ تقريباً في عهد الخليفةِ العباسيّ المتوكِّل على اللهِ أي ما بين (٢٣٢هـ : ٢٤٧هـ).[٦]

---

[٣]الحنفي المتكلم : أي أنه حنفي المذهب فقد روى كتب أبي حنيفة الفقهية والكلامية (الفقه الأكبر- والفقه الأوسط –والعالم والمتعلم وغيرها) ينظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاجي خليفة – دار إحياء التراث العربي – ١/ ٢٣٥

[٤] ظنَّ بعض الباحثين المحدثين أن هذا الإمام لم يحظَ باهتمامٍ المؤرخين القدامى لأن بعض كتب التراجم لم تذكره ولأن تاريخ مولده لم يعرفه أحد ، وعزوا فضل التعريف به إلى ما كتبه الباحثون في العقدين السابع والثامن من هذا القرن ، والسبب في ذلك بُعد الإمام الماتريدي عن مركز الخلافة العباسية ببغداد والتي كانت تدعم مدرسة أبي الحسن الأشعري التي نشأ بها ومات فيها ولهذا البعد قلَّ اهتمام العلماء بالكتابة عن حياته مفصلا .

ينظر : مقدمة كتاب (أبو منصور الماتريدي حياته وآراءه العقدية) لبلقاسم الغالي – دار التركي للنشر طبعة ١٩٨٩م- ص ١٢: ١٣ ومقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ٢٠٠١م – المجلد الأول ص٨ ومقدمة كتابه التوحيد تحقيق أ.د / بكر طوبال أوغلي و د/ محمد آروشي – دار صادر بيروت عام ٢٠٠١م ص ٦ :٧

[٥] ينظر : أبو منصور الماتريدي حياته وآراءه العقدية ص ٤٢

[٦]مقدمة تفسير تأويلات أهل السنة تحقيق فاطمة يوسف الخيمي ص ٨ : ٩

أساتذته تتلمذَ الماتُريديُّ على يدِ جلة من علماء المذهبِ الحنفيِّ الذين بَرعَوا في الفقهِ والأصولِ والكلامِ وأشهرهم:[٧] ١- مُحمَّد بن مُقاتل الرّازي ت(٢٤٢)هـ[٨] الذي تتلمذ على يد محمد بن الحسن الشَّيبانِيّ ت(١٨٩)هـ وكان علمًا من أعلامِ تفسير القرآن والحديث وترك كُتبًا كثيرةً فيها.

٢- أبو نصر العياضيِّ : لمْ يُذكر له تاريخ وفاة ولكن ذُكر في طبقات الحنفيةِ أنَّه من شيوخِ الماتُريدي .[٩]

٣- أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجانِيّ ت(٢٠٠)هـ[١٠]: أشارت إليه جميعُ الكتبِ التي ترجمت للماتُريدي وأجمعوا على أنَّه كان عالمًا جامعًا بين الأصولِ والفروعِ وله كتاب (الفرق والتمييز)

٤- نصير بن يحيى البلحي ت(٢٨٦)هـ [١١]: ورد ذكره في الإتحافِ ووصف بأنه كانَ بارعًا في الفقه الحنفي.

تلامذته أخذَ عن الماتُريدي جمعٌ من العلماء والمتكلمين الذين تتلمذوا على يديه فنشروا مذهبَه العقيدة الماتُريديَّة الكلامية بل وصنَّفوا التصانيفَ فيها مِن أشهر هؤلاءِ :

١- أبو القاسم إسحاق بن مُحمد السَمَرقندي ت(٣٤٢)هـ[١٢] فقدَ أخذ الفقه والكلامَ الماتريديّ وتولى قضاءَ سمرقند وألَّفَ كُتبًا كثيرة منها (الصحائف الإلهية – والرد على أصحاب الهوى).

---

[٧] ينظر : الجواهر المضيئة في طبقات السادة الحنفية ٢/ ١٣١ وما بعدها ، والفوائد البهية ص ٢٠١ والأعلام للزركلي ٧ / ٢٤٢ وإتحاف السادة المتقين ٢ /٥ وما بعدها ، ومقدمة كتاب التوحيد ص ١٥: ١٦

[٨] ينظر ترجمته في : إتحاف السادة المتقين ٢ / ٥ والفوائد البهية ص ١٦٣

[٩] ينظر ترجمته في : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ١ / ١٧٧

[١٠] ينظر ترجمته في : الفوائد البهية ص ١٤ وإتحاف السادة المتقين ص٢ / ٥

[١١] ينظر ترجمته في : إتحاف السادة المتقين ٢ / ٥

[١٢] ينظر ترجمته في : الجواهر المضيئة ١ / ١٣٩ والفوائد البهية ص ٤٤

٢- الإمام أبو الحسن على بن سعيد الرُّستغفنيّ نسبة إلى (رسُتغفن) إحدى قرى سمرقند ت(٣٥٠)هـ[١٣] ومن تصانيفه (إرشاد المهتدي وإرشاد المبتدي – والزوائد والفوائد في أنواع العلوم) وغيرهم الكثير .

مكانته العلمية الماتُريديُّ جهبذٌ من جهابذة الفكر الإنسانيّ امتازَ بالذكاء والنبوغِ وحذقِ الفنونِ العلميةِ المختلفةِ وألَّفَ في شتى العلومِ الإسلاميةِ وبرعَ في اللغاتِ العربيةِ والفارسيةِ قال عنه العلماءُ "رئاسةُ أهلِ السنة والجماعةِ لرجلينِ أحدهما حنفيّ والآخرُ شافعيّ ؛ فأمَّا الحنفي فهوَ أبو منصور الماتريديّ ، وأمَّا الشَّافعيُّ فهوَ أبو الحسن الأشعريّ"[١٤] وبالغَ بعضُ العلماء في وصفه فعدَّوه (مهديَّ هذه الأمة) في وقته لما تحلَّى به صفات رفيعة كالورعِ والتّقى والترفع عن التذللِ للسلطة الحاكمةِ طمعًا في مالٍ أو شهرة ، فقد ناضلَ في سبيلِ الدينِ ووطَّد عقائد أهل السنةِ وناظرَ المجوسَ وذوي البدعِ بأسلوبٍ علمي ، وحققَ في كتبِه المسائلَ بقواطعِ الأدلةِ وأتقنَ التفاريعَ بلوامعِ البراهينِ اليقينيةِ. والماتُريديُّ صاحبُ مدرسةٍ فكريَّةٍ أثرتْ ولا تزالُ في مختلفِ أنحاءِ العالمِ الإسلاميّ وأُدرجت عقيدتُه في برامجِ الجامعاتِ الإسلاميَّةِ كالأزهر والزيتونية والقرويين ."[١٥]

مؤلفاته : اتسمتْ مؤلفاتُه بالتنوعِ والشمولِ ومن أشهرها [١٦]: تفسيره (تأويلات أهل السنة) عالج فيه قضايا اعتقادية وأصولية وفقهيَّة فضلًا عن التفسير والشرحِ لآياتِ الذكر الحكيم ، وكتاب (التوحيد) في علم الكلام والذي يعد عمدة الماتريديَّة ، وكتاب (الجدل) في الفقه الحنفي ، وشرح كتاب الفقه الأكبر ،

[١٣] ينظر ترجمته في : الجواهر المضيئة ٢ / ١٣٠ والفوائد البهية ص ٦٥ والأعلام ٤ / ٣٢٨ .

[١٤] مفتاح السعادة ومصنع السيادة في موضوعات العلوم لطاشي زاده ، تحقيق / كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور – طبعة دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٦٨م ٢/ ١٥١ .

[١٥] ينظر : مفتاح السعادة ٢ / ١٥١ ومقدمة كتاب التوحيد تحقيق د/ بكر طوبال و د/ محمد أروشي ص ٩ وما بعدها والفوائد البهية ص ٥ والمذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ١ / ٢٠٩ وأبو منصور الماتريدي وآرائه العقدية ص ٤٧: ٤٨

[١٦] ينظر : الجواهر المضيئة ٢ / ١٣٠ : ١٣١ ومفتاح السعادة ٢ / ٩٢ : ٩٦ والفوائد البهية ص ١٩٥ وكشف الظنون ٢ / ٤٠٨

وكتاب مآخذ الشرائع في الفقه الحنفي والمقالات الذي ذكر فيه مقالات الفرق الإسلامية ، وكتاب بيان وَهْمِ المعتزلةِ والرد عليها ..وغيرها

وفاته تُوفي الماتريديُّ عام (٣٣٣)هـ ودُفنَ في سمرقند تاركًا تراثًا عظيمًا يهتدي به أقرانه وتلامذته والأجيال من بعده إلي الطريق القويم لفهم القرآن والسنة والعقيدة .[١٧]

ثانيًا : منهج الماتريديّ في التفسيرِ : نتيجةً لاتساعِ الخلافِ بينَ المعتزلةِ الذين كانوا يُغالون في الثقةِ بالعقلِ وبينَ أهلِ الحديثِ الذين تمسَّكُوا بالنَّصِ ورفضُوا الاعتمادِ على العقلِ ؛ ظهرَ في صفوفِ أهل السُّنةِ مفكِّرونَ تسلَّحوا بالنظرِ العقليّ والصناعةِ الفكرية لمواجهةِ هذا الخلافِ والمذاهبِ المتطرّفة ؛ ومن هؤلاءِ الماتريدي الذي توَّفقَ إلى منهجٍ أصيلٍ أساسُه العقل والنقل ، قالَ المَاتريديُّ " أصلُ ما يُعرفُ بهِ الدينُ وجهان؛ أحدهما السمعُ والآخرُ العقلُ " [١٨] ولهذا القول جمعَ الماتريدي في تفسيرهِ بينَ مدرستي الرَّأي والنَّقلِ فأصبحَ مُجدِّدًا في تفسيرهِ مُتَّسِمًا ببعضِ السماتِ التي ظهرت جليَّةً في تأويلاتِه يُمكنُ الإشارةُ إليها في عدةِ نِقاطٍ على النحو الآتي :

أوَّلا : تفرَّدَ الماتريديُّ بوضعِ حدودٍ واضحة لكلٍّ من التَّفسير والتَّأويل فقد ذكر في مقدمةِ تفسيره (تأويلات أهلِ السنة) الفرقَ بينَ التَّفسير والتَّأويل فقالَ " إن التَّفسير للصحابةِ والتأويلَ للفقهاءِ كذلك التَّفسيرُ ذو وجهٍ واحدٍ ظاهر المعنى بخلافِ التَّأويل فهوَ ذو وجوهٍ متعددة " [١٩]

ثانيًا : ما ذهب إليه الماتريدي في تحديدِ مفهومي التَّفسير والتَّأويل يُعدُّ منهجًا دقيقًا في تأصيلِ أمرين ؛ أحدُهما توسيعُ آفاق النصِ القرآني المتداول من دائرة المناهج التقليديةِ المعتمدةِ على الرِّواية كتفسير الطّبري ت(٣١٠)هـ وتفسير النيسابوريّ ت(٣١٨)هـ إلى دائرةِ الموسوعيةِ بالنَّظرِ إل تعددِ الرُّؤى اتجاهِ

[١٧] مقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي ص ٧

[١٨] التوحيد ص ٣٢ وينظر : أبو منصور الماتريدي حياته وآرائه العقدية ص ٧١ : ٧٢

[١٩] تأويلات أهل السنة ص ١٤ : ١٥ وينظر : بحث بعنوان منهج الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة للدكتور / أحمد حمدي –مجلة الأزهر الشريف – مارس ٢٠٢١م ص ١١١١

النَّصِ القرآني البليغِ. ثانيهما فصلُ الآراء الاجتهاديَّة عن ذاتِ المتنِ المؤولِ وتجنُّب القطعية والإطلاق ؛ فالملاحظُ أنَّ الماتريديَّ غالبًا ما يختمُ تفسيره أو تأويلَه للآية بقوله (والله أعلم بالصَّواب) أو (وباللهِ التّوفيق) ..وغيرها[٢٠]

ثالثًا : اتسمَ أسلوبُ الماتريدي بأنَّه أسلوب تحليلي فمثلًا بعد أن يذكرَ اسم السورة يقولُ " وقوله تعالى ..." قيل فيه كذا ، أو يحتملُ وجهين أو ثلاثة وجوه .." ثم يقومُ بعرض كل وجهٍ ويناقشه مُوردًا أقوال المفسرين من الصحابةِ والتابعين والمؤولين أهل الثقةِ ، ثم يرجحُ الوجه الذي يذهبُ إليهِ مُؤيّدًا إياه بذكرِ آيةٍ كريمةٍ أو حديثٍ شريفٍ أو خبرٍ صحيحٍ يثبتُ صحة ما أرادَ أن يقررهُ ومُصدّرًا إياه بقوله " والأصلُ عندنا ... " أو " وعندنا.." [٢١]

رابعًا : عالجَ الماتريديُّ من خلالِ تأويلاتِه بحذقٍ ومهارةٍ قضايا اعتقاديَّةٍ وذلكَ من خلالِ مناقشته للفرق المخالفةِ فكانَ يغتنمُ مناسبةَ تفسيره لأيّ آيةٍ لها علاقةٌ بمسألةٍ من المسائلِ العقديَّةِ للردِّ عليهم وإبطالِ آرائِهم ؛ فكانَ يعرضُ الوجهَ المخالفَ لرأيِ أهلِ السُّنةِ سواءً على لسانِ عالمٍ ما أو فرقةٍ ما ثمَّ يردُّ عليهم بالأدلةِ النقليَّةِ والعقليَّةِ التي يلزم بها لإيضاحِ عقيدةِ أهل السنةِ الصحيحةِ مُتَوخِّيًا جادة الصوابِ والحكمةِ ، وكذلكَ الأمرُ إن كان في الآيةِ حُكمٌ فقهيٌّ ؛ فكانَ يُفسرها معتمدًا على رأي إمامه الفقيه الأكبر أبي حنيفة ومُرجّحًا إياه .[٢٢]

خامِسًا : اعتمدَ الماتريديُّ كالدَّارجِ عندَ المفسرين على ضوابطَ وأدواتٍ تفسيريَّةٍ لآياتِ القرآنِ الكريمِ ، مِن هذه الضوابط تفسيرُ القرآن بالقرآنِ ؛ فكانَ يُحللُ الآيةَ ثم يأتي بآيةٍ أخرى دالة على المعنى المراد

[٢٠] ينظر : مقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي ص ١٧ ، وبحث بعنوان منهج الماتريدي في تفسير القرآن بين علم الكلام وأصول الأحكام للدكتور عبد الرحيم العالمي – استنابول ٢٠١٢م – ص ٣٣٥

[٢١] ينظر : مقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي ص ١٦

[٢٢] ينظر : مقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي ص ١٦: ١٧

ترجيحُه [٢٣]، وتفسيرُ القرآنِ بالحديث الشريفِ إلَّا إنَّه في أغلب الأحيانِ كان يذكرُ الحديثَ بالمعنى دونَ الاعتناءِ بتخريجه ومعرفةِ سَندهِ ودرجتهِ من الصحة ؛ ولعلَّ السببَ في ذلك اعتمادُه على حفظِه ولزومه الاختصار والإيجاز [٢٤]، كذلك الأمرُ عند استناده إلى القراءاتُ القرآنيةُ في تأويلِه ؛ فقد كانَ يذكرُها على وجهِ الإجمالِ دون ذكرِ القُرَّاءِ الذينَ قرؤوا بها وإن كانتْ متواترةً أو آحادًا أو شاذةً واكتفى بقولهِ "ذكرَ في بعضِ القراءاتِ كذا.."[٢٥]. أمَّا عن اللغةِ فلمْ يتَوسَّع الماتريديُّ في تأويلاتِه كثيرا في القضايا اللغوية وإنَّما جعل اهتمامَه باللفظِ من خلالِ بيان معناه أو معانيه المتعددة وتوظيف هذه المعاني لإيضاح النكات الدلالية التي تُرجِّحُ رأيَّهُ ومنهجه.[٢٦] وسوفَ يتضح هذا الأمر من خلال البحثِ إن شاء اللهُ .

المحور الثَّاني : التأويل اللغوي وأهم مجالاتِه

أوَّلا : تعريف التأويل لُغةً واصطلاحًا

التأويلُ لُغةً : قالَ ابن منظور ت(٧١١)هـ " الأَوْلُ :الرُّجوع يُقالُ آلَ الشيء يؤول أَوْلًا ومآلًا ، فأَوَّل إليهِ الشيء رَجَعَه وأَلتُ عن الشيءِ : ارتددتُ ، وأوَّل الكلامَ وتأوَّلَهُ : دبَّره وقدَّره ، وأوَّلَه وتأوَّلَه فسَّرَه."[٢٧] فعلى هذا يكونُ التَّأويلُ مأخوذًا من الأوْلُ بمعنى الرجوعِ أو الإرجاعِ فكأنَّ المؤوِّل يردُّ الكلامَ إلى ما يحتمله من المعاني . ويُقالُ أُلتُ الشيء : جمعته وأصلحتُه ؛ فكأن التأويلَ جمعُ معانٍ مشكَّلةٍ بلفظٍ واضحٍ لا إشكالَ فيه .[٢٨] وقالَ الزركشي ت(٧٩٤)هـ[٢٩] " وأمَّا التأويلُ فأصلُه في اللغة من الأوْلِ ،

---

[٢٣] ينظر : بحث بعنوان "منهج الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة" ص ١١١٣

[٢٤] ينظر : بحث بعنوان "منهج الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة" ص ١١١٤ ، وبحث بعنوان " منهجية الإمام الماتريدي في تفسيره ، إعداد الدكتور/ محمد فضل – أستاذ لتفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة جامعة الطائف – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية – المجلد السابع من العدد الثاني والثلاثين – ص ٢٨٩

[٢٥] ينظر : مقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي ص ١٦: ١٧

[٢٦] ينظر : مقدمة تفسيره تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي ص ١٥ : ١٦

[٢٧] لسان العرب لابن منظور م (أَوَلَ) ١١/ ٣٣ وينظر : القاموس المحيط ٣ / ٣٤١ م (آ ل)

[٢٨] تهذيب اللغة ١٥ / ٤٠٨ وينظر : لسان العرب ١١/ ٣٢ : ٣٣

ومعنى قولهم ما تأويلُ هذا الكلام ؟ إلَّام تُؤول العاقبة في المرادِ به كما قالَ تعالى"**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**"[٣٠]أي يُكشف عاقبته ، ويُقال : آل الأمر إلى كذا أي صارَ إليه "**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**"[٣١] وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير ، ويقال قد أوَّلتُه فآل أي : صرفتُه فانصرف فكأن التأويل صرفُ الآيةِ إلى ما تحتمله من المعَاني"[٣٢]

التأويلُ اصطلاحًا : عرَّفَ الجرجانيُّ ت(٤٧١)هـ[٣٣] التأويلَ بقولهِ" صرفُ اللفظِ عن معناه الظاهرِ إلى معنى يحتمله إذا كانَ المحتملُ الذي يراه موافِقًا للكتابِ والسنة "[٣٤]فالآيةُ إذا صرفت إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها يحتمله غير مخالفٍ للقرآن والسنةِ من طريقِ الاستنباطِ يُعدُّ تأويلًا ، وذلكَ لأنَّ النصَّ القرآني له دلالةٌ ظاهرة مفهومة من اللفظِ مباشرة ، هذه الدلالةُ تحتملُ دلالاتٍ أخرى خفيَّةً تستنبطُ بإعمالِ الفكرِ وتمحيص القرائنِ ؛ فإذا عدلَ عن المعنى الظاهري إلى معاني خفيَّةٍ تسمى هذا التَّحولُ تأويلًا ، وهذا يدلُّ على أنَّ الغايةَ من التأويلِ البحثُ في المعاني الخفيَّة المستترة "[٣٥] والسببُ الذي يدعوُ المؤوِّلُ للتحولِ إلى المعنى الخَفيّ هو وجودُ إشكالٍ في المعنى الظاهريّ كأنْ يدلُّ على التشبيهِ أو التَّجسيمِ أو التَّعارضِ أو غير ذلك من المعاني المشْكلةِ ، وهذا التحول أو التأويلُ لابد أن يُستندَ إلى

---

[٢٩]هو بدر الدين بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري، فقيه شافعي، أصولي ومحدث، له مؤلفات في علوم كثيرة.

[٣٠]الأعراف : ٥٣

[٣١] الكهف : ٨٢

[٣٢] البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٤٧: ١٤٨وينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤ / ١٦٧

[٣٣]أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرْجَانِيّنحوي ومتكلم، يعتبر مؤسس علم البلاغة، أو أحد المؤسسين لهذا العلم، ويعد كتاباه :دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال.

[٣٤]التعريفات للجرجاني ص ٥٠

[٣٥] البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٤٨ وينظر الإتقان في علوم القرآن ٤ / ١٦٧

ثلاثةِ أنماط[٣٦] : النمطُ الأول (التأويلُ بالأثر) وهوَ المنقولُ عن الرسول والصحابةِ، النمطُ الثاني (التأويلُ اللُّغوي) وهو الذي يستندُ إلى قواعدِ اللغةِ وأساليبها في المجازِ والاستعارة والكنايةِ والتشبيهِ وغير ذلك ، النمطُ الثالث (التأويل العقلي أو الكلامي) الذي يستندُ إلى نظرِ العقلِ وبراهينه واستدلالاته .

ثانيًا :الفرقُ بين التأويلِ والتفسير أوردَ الزَّركشيُّ ت(٧٩٤)هـ في البرهانِ عدةَ أقوال في الفرقِ بين التَّفسيرِ والتَّأويلِ وهي :[٣٧] (القولُ الأوَّلُ) أنَّ التفسيرَ والتَّأويلَ بمعنى واحدٍ بحسبِ عُرف الاستعمالِ. (القولُ الثَّاني) أنَّ التَّفسيرَ أعمُّ من التأويلِ وأكثرُ استعمالِه في الألفاظِ بخلافِ التَّأويلِ فأكثرُ استعمالِه في المعاني كما ذكرَه الراغبُ الأصفهانيُّ ت(٤٢٥)هـ.[٣٨] (القولُ الثالثُ) : أنَّ التفسيرَ يتعلَّقُ بعلمِ الرِّواية عماده الآثار المنقولة عن الرسولِ والصحابة أمَّا التأويل فيتعلقُ بعلمِ الدِّراية لأنَّه فهمٌ صحيحٌ للنصوصِ يتبعُ طرائق معينة لمعالجتِها واستنباطِ المعاني الخفيَّةِ منها ، وهذا مذهبُ الزركشيِّ نفسه فهوَ يرى أنَّ المفسِّرَ ناقلٌ والمؤوِّلَ مستنبطٌ وذلكَ استنباطُ الإحكامِ .[٣٩] (القولُ الرَّابعُ) هوَ تفريقُ الماتُريديِّ له —كما ذُكر سلفًا– بأنَّ التفسيرَ مقصورٌ على الصحابةِ الذين سمعوا بيانِ معاني القرآنِ من الرسولِ وشهدوا نزولَ الوحيِّ وأسبابِه ، أمَّا التأويلُ فهوَ توجيهُ الآيةِ إلى ما تحتمله من المعاني وعدمِ الجزمِ بأنَّ المرادَ منها هذا المعنى دون غيره وهو مباحٌ لكل مَن توفرت فيه شروطه .[٤٠] والمستخلصُ من هذه الأقوالِ : أنَّ

---

[٣٦] ينظر : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية للدكتور / عرفان عبد الحميد — مطبعة الإرشاد — بغداد — عام ١٩٦٧م ص ٢٠٣ والتأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية للدكتور / حسين حامد الصالح — جامعة صنعاء — دار ابن حزم للنشر–بيروت — الطبعة الأولى عام ٢٠٠٥ م ص ٢٠: ٢١

[٣٧]ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ١٤٩ :١٥٣ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤ / ١٦٨: ١٨٠

[٣٨] ينظر : المفردات للراغب ص ٥٧١

[٣٩] البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٦٦

[٤٠] ينظر : مقدمة تفسير تأويلات أهل السنة ص٥ :٦ والإتقان للسيوطي ٤ / ١٦٧ والتأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٢٢

التفسيرَ يعتمدُ على شرحِ الألفاظِ وبيان غوامض معانيها بخلافِ التأويلِ فهوَ تصرُّفٌ في المعاني وتوجيه لها إلى خلافِ ما يقتضيهِ ظاهر اللفظِ بموجب اقتضى ذلك .[٤١]

ثالثًا : أسباب نشأة التَّأويل لما نزلَ القرآنُ الكريمُ تفاوتَ الناسُ في مراتب فهمه ؛ فكانَ منهم من يفهمُ من الآيةِ حُكمًا أو حكمينِ ومنهم مَن يفهمُ عشرةَ أحكام أو أكثرِ ومنهم مَن يقتصرُ في الفهم على مجردِ اللفظِ دونَ سياقهِ ، وهذا التَّفاوتُ راجعٌ إلى اختلاف المستوى العقلي والثقافي والفكري . والقرآنُ الكريم الذي هوَ دستور الحياةِ والعقيدةِ للمسلمين وردتْ فيه مسائلُ عقديَّةٌ كأسماء اللهِ وصفاته وأفعالِه لم يختلفْ فيها السلفُ الصالحِ بل كان مذهبُهم الإيمانَ بصفاتِ الله تعالى وأسمائِه التي وصف بها نفسَه في كتابِه أو على لسانِ رسولِه دون زيادةٍ عليها أو نقصٍ منها أو تجاوزٍ لها بتفسيرٍ لها ولا تأويلٍ يُخالفُ ظاهرها ؛ فهم فهموا الآيات المتشابهاتِ فهمًا صحيحًا مُجملًا دونَ الخوضِ في التَّفاصيلِ أو الجدلِ فيها .[٤٢] وبعد ظهورِ الخلافاتِ السياسيةِ التي وصلتْ لمسائلِ الدينِ ظهرتْ فرقٌ ومدارسُ فكريَّة أوَّلوا القرآنِ تأويلًا مجازيًّا بعيدًا عن ظاهرِ اللفظِ ، وتشعبت هذه الفرق وتعددتْ وكلُّ فريقٍ ينتصرُ لمذهبِه فكانوا يلجأون إلى القرآنِ مُحاولينَ إسنادِ مذاهبهم بما يسبقونه من نصوصهِ جاعلينَ من التأويلِ وسيلةً يُمكنُ بها تفسيرُ النَّصِ القرآني بما يتفقُ مع معتقداتهم حتى ازدادَ الجدلُ عمقًا بدخولِ أممٍ وأقوامٍ مختلفةٍ في العقيدةِ نتجَ عنه احتكاكٌ بأديانٍ أخرى وفلسفاتٍ غربيةٍ وسرعانَ ما تأثَّرَ بعضُ المسلمين بتلكَ الفلسفاتِ فصوَّروا الخالقَ تصويرًا حسِّيًّا تجسيميًّا ؛ ومن هذه الفرق المشبِّهة أو المجسِمَة لأنَّهم شبَّهوا الخالقَ بالخلقِ ويزعمونَ أنَّ معبودَهم جسمٌ وله نهايةٌ وحد[٤٣] – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

[٤١] ينظر : التأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٢٢

[٤٢] ينظر : دراسات في الفرق والعقائد ص ١٢٧ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور / على سامي النشار – دار المعارف – مصر – طبعة عام ١٩٦٦م – الجزء الأول ١ / ٣٧ والتأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٥١

[٤٣]ينظر : دراسات في الفرق والعقائد ص ١٢٦ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١ / ٦٩

وقد انبرى علماءُ الإسلامِ أمامَ هذه الهجماتِ الفكريَّةِ والفلسفية التي اقتحمت المجتمع الإسلامي للدفاعِ عن العقيدةِ الإسلاميَّةِ وبيانِ الحقائقِ الإسلاميَّةِ وبخاصةً التي تتصلُ بصفاتِ الله تعالى وأسمائهِ واتخذوا التأويلَ بنوعيهِ العقلي والنقلي سندًا مُعينًا في الردِ على الطَّاعنين وإخماد إدعاءاتِهم ؛ ومِن أشهرِ علماء السنُّة والجماعةِ الذين تصدُّوا لذلك الإمام أبو الحسن الأشعري ت(٣٣٠)هـ[٤٤] مؤسس المدرسة الأشعريَّة ، والإمامُ أبو منصور الماتريديّ ت(٣٣٣)هـ مؤسس المدرسة الماتُريديَّة [٤٥]؛ فقد أعملَ هؤلاء التَّأويل في النصوصِ المتشابِهةِ التي يدلُّ ظاهرها على التجسيم أو التشبيهِ أو الجهةِ أو غيرِ ذلك مما يتنافى مع صفاتِ الألوهيَّةِ ، واستندُوا في صرفِ تلكَ النصوصِ عن ظواهرِها إلى الحججِ العقليَّةِ والمنطقيَّةِ واعتمدوا كثيرًا على اللغةِ وأساليب العربِ في كلامهم من استعارةٍ وكنايةٍ وتمثيلٍ وغيرِها من ألوانِ الاتساعِ في التعبيرِ، وقسَّموا صفاتِ الباري إلى حقيقيةٍ ومجازيَّةٍ وتأوَّلوا المجازيَّةَ منها بما يَرُدُّها إلى الصفاتِ الحقيقيةِ [٤٦].قالَ الزركشيُّ ت(٧٩٤)هـ " وإنَّما حملهم على التَّأويلِ وجوب حمل الكلامِ على خلافِ المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالةِ المشابهةِ والجسميةِ في حق الباري تعالى والخوض في هذه الأمور خطره عظيم وليسَ بين العقولِ والمنقول تغاير في الأصول بل التغاير إنَّما يكون في الألفاظِ ، واستعمال المجاز في لغة العرب."[٤٧]

رابعًا : مجالات التأويل اللغوي: قسَّمَ الله آيات كتابه إلى آياتٍ مُحكمةٍ وآيات متشابهة قال **تعالى** **"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ"**..[٤٨]واختلفَ العلماء في تحديدِ معنى المحكمِ والمتشابهِ فقيلَ " المشابهةُ في القرآن ما أُشكلَ تفسيره لمشابهتهِ بغيرِه إما من حيثُ اللفظِ أو من حيثُ

[٤٤]الإمام الأشعري :أحد أعلام أهل السنة والجماعة، وإليه ينسب المذهب الأشعري، وكنيته أبو الحسن ويلقب بناصر الدين، وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، كان من كبار الأئمة المجتهدين والمجددين الذين حافظوا على عقيدة المسلمين واضحةً نقيَّةً، وتبعه جماهير العلماء على مرّ العصور حتى يومنا الحاضر.

[٤٥]ينظر : دراسات في الفرق والعقائد ص ١٩٢ والتأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٦٠ : ٦١

[٤٦]التأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٦١

[٤٧]البرهان في علوم القرآن ٢ / ٨٠

[٤٨]آل عمران : ٧

المعنى؛ فالمتشابهُ ما لا ينبئ ظاهره عن مراده " [٤٩]وقيل " المتشابه مثل المشكل لأنَّه أشكلَ أي دخل في شكلِ غيره وشاكلَه وقيل : المشتبه الذي يُشبه بعضه بعضًا ، وقيل : المنسوخ غير المعمول به ، وقيل هو القصص والأمثال ، وقيل ما أمرت أن تُؤمن به وتكل علمه إلى عالمِه ، وقيل فواتح السور ، وقيل ما لا يُدرى إلا بالتأويل ولابد من صرفه إليه ، وقيل الآيات التي يُذكرُ فيها وقت قيام الساعة ومجيء الغيث وانقطاع الآجال ، وقيل المتشابه ما يُحتمل وجوهًا والمحكم ما يحتمل وجهًا واحًدا ، وقيل ما لا يستقل بنفسه إلا بردِّه إلى غيره ."[٥٠] وإجمالُ هذه الأقوال في أن المحكمَ لا إشكالَ فيه لأنَّه وضع معناه وعُرف المرادُ منه فهوَ لا يحتاجُ إلى تأويلٍ بخلافِ المتشابه الذي يمكن تقسيمُه إلى قسمين : (الأول) ما كان متشابهًا لأن اللهَ حجبَ علمه عن سائرِ خلقه وهذا لا سبيل إلى معرفته و(الثاني) ما كان متشابهًا لسببٍ عائد إلى اللغة ومفرداتها ودلالاتها وأساليبها من حيثُ خفاء المعنى وظهوره ودلالة اللفظِ على أكثرِ من معنى .[٥١]

فإذا قيلَ : ما الحكمةُ من اشتمالِ القرآن الكريم على المتشابهات ؟ ولماذا استُعمل المجازُ والكنايةُ والرمز في كثيرٍ من آياتهِ ؟ وللإجابةِ على هذا السُّؤال أوردَ المتكلمونَ حكما وأسبابًا كثيرة لاشتمالِ القرآن على المتشابهِ أهمها ما يلي :[٥٢] (الأوَّل) أنَّه متى كانت المتشابهات موجودةٌ كان الوصول إلى الحق أصعب وأشقَّ وزيادة المشقة تُوجب زيادة الثوابِ ؛ قال تعالىأَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ[٥٣] يقول الزركشيُّ ت(٧٩٤)هـ " إنَّ القرآنَ يشملُ على المتشابه ليحثُ العلماء على النظرِ الموجب للعلمِ بغوامضهِ والبحث عن دقائق معانيه ؛ فإن استدعاء الهممِ لمعرفة ذلك من أعظم القُرب ، فلو كان القرآن كله محكما لا يحتاجُ إلى تأويل لسقطت المِحنة واستوت المنازل ولم

---

[٤٩] المفردات للراغب ص ٣٧٣ وينظر: أساس التقديس للرازي – تحقيق الدكتور / أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية –طبعة عام ٢٠٠١م – ص ٢٢٣ وما بعدها ، و أثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية عند المتكلمين للدكتور / إبراهيم سليمان سويلم بجامعة الأزهر – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – طبعة عام ٢٠١٣م ص ٢٢٢ وما بعدها

[٥٠] البرهان في علوم القرآن ٢ / ٦٩ : ٧٠ والإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣: ٤

[٥١] ينظر : تقسيم الراغب للمتشابه في كتابه المفردات م (شبه) ص ٣٧٣ : ٣٧٤

[٥٢]ينظر : أساس التقديس للرازي ص ٢٢٧وما بعدها ،ودلائل الإعجاز للجرجاني ص ٣٠٥ وما بعدها والتأويل اللغوي في القرآن ص ٧٧ وما بعدها ،وأثر المعنى اللغوي على المسائل اللغوية عند المتكلمين ص٢٤٠

[٥٣]آل عمران : ١٤٢

يفعل الله ذلك بل جعل بعضَه محكمًا ليكونَ أصلًا للرجوعِ إليه وبعضَه مُتشابِها يحتاج إلى الاستنباطِ والاستخراجِ ورده إلى الحكمِ ليستحقَ بذلكَ الثواب .."[٥٤]

(الثَّاني) افتقارُ الناظر في القرآن إلى الاستعانة بدلائل العقلِ والاستكثار من سائر العلومِ والتَّخلص من التَّقليدِ بالاستدلالِ والحجةِ ؛ وكلُّ أمرٍ يبعثُ على النَّظر ويصرفُ عن التَّقليدِ فهوَ أولى في الحكمة لذلك نزلَ القرآنُ الكريمُ مُحكمًا ومتشَابِهًا لأنه أولى في الحكمةِ من نزوله كله مُحكمًا .[٥٥] (الثَّالث) لما كانَ القرآنُ مشتملًا على المحكمِ والمتشابهِ افتقرَ إلى تعلُّمِ طرقِ التأويلاتِ وترجيحِ بعضها على بعضٍ ، وافتقرَ في تعلمِ ذلكَ إلى تحصيلِ علومٍ كثيرةٍ من علم اللغةِ والنحوِ وعلمِ أصولِ الفقهِ ومعرفةِ طرقِ الترجيحاتِ ولمْ يكن القرآن مشتملًا على هذه المتشابهاتِ لم يفتقرْ إلي شيءٍ من ذلك.[٥٦] (الرَّابع) وهو أقوى أسبابِ المتشابهِ في القرآن كما يرى الرَّازي ت(٦٠٦)هـ أنَّ[٥٧] " القرآن مشتملٌ على دعوةِ العوامِ والخواصِ ؛ والعوامُ تنبو في أكثرِ الأمورِ عن إدراكِ الحقائقِ العقليةِ المحضةِ ؛ فمَن سمعَ مِن العوامِ في أول الأمرِ إثبات موجودٍ ليس بجسمٍ ولا مُتحيّز ولا مُشارٍ إليه ظنَّ أن هذا عدمٌ محض فوقعَ في التَّعطيلِ فكانَ الأصلحُ أن يُخاطبوا بألفاظٍ تدل على بعضِ مَا يُناسِبُ ما تخيَّلوه وتوَّهَموه ويكون ذلك مخلوطًا بالحقِّ الصريحِ ، فَمَا يخاطبون في أول الأمرِ هو المشابهِ وما يُكشف لهم في آخر الأمرِ هو المحكمُ ."[٥٨]فهذهِ الأسبابُ تدلُّ على مدى احتياجِ المتشابهِ إلى التَّأويل ؛ فالمجازُ والكناية والتمثيل والتَّصوير وغيرها من الألفاظِ الموضوعة على التشابهِ أبلغُ في تأديةِ المعنى المراد التعبير عنه من الحقيقةِ واستعمال

---

[٥٤]البرهان ٢ / ٧٥: ٧٧

[٥٥] ينظر : أساس التقديس للرازي ص ٢٤٨ ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ١ / ٢٥ وأثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية عند المتكلمين ص ٢٤١ : ٢٤٢

[٥٦] ينظر : أساس التقديس للرازي ص ٢٤٨ وأثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية عند المتكلمين ص ٢٤١

[٥٧]هو الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي، أبو المعالي المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري، أحد فقهاء الشافعية له العديد من المؤلفات منها : مفاتيح الغيب في التفسير، ولوامع البيّنات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، والمحصول في علم أصول الفقه، ولباب الإشارات.

ينظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٤٨/٤، وسير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١

[٥٨]أساس التقديس ص ٢٤٩ : ٢٥٠

هذه الأساليب في الكلامِ يُؤدي إلى التحولِ عن التعبيرِ المباشرِ الذي يحتاجُ إلى إعمال الفكرِ للوصولِ إلى المعنى المراد وهذا ضربٌ من التَّأويلِ.[٥٩]

خامسًا : قوانين تأويلِ القرآنِ الكريمِ عندَ المفسرين وضعَ علماءُ التفسيرِ ضوابطَ تحكمُ التأويلَ حتى يكونَ وسيلةً للوصولِ للفهَمِ الصحيحِ للنصِّ القرآني ، أهم هذه الضوابط ما يلي :

(١) اللفظُّ يحتملُ معنيين ظاهرًا وخفيًّا والأصلُ يُحملُ على الظَّاهرِ إلَّا أنْ يقومَ دليلٌ على أنَّ المرادَ هو الخفيُّ دونَ الجليِّ فيُحملُ عليه .[٦٠] يقولُ الرازي ت(٦٠٦)هـ " إنَّ صرفَ اللفظِ عن ظاهره إلى معناه المرجوحِ لا يجوزُ إلَّا عند قيامِ الدليلِ القاطعِ على أنَّ ظاهرَه محالٌ ممتنعٌ."[٦١] ويقولُ الطبري ت(٣١٠)هـ[٦٢] " وتأويلُ القرآنِ على المفهومِ الظاهرِ من الخطابِ دونَ الخفي الباطن منه حتى تأتي دلالةٌ من الوجهِ الذي يجب التسليم له بمعنى خلاف دليله الظاهرِ المتعارف في أهل اللسانِ الذين بلسانهم نزلَ القرآن الكريم أولى "[٦٣]. (٢) صرفُ اللفظِ إلى المعنى المشتهرِ به أولى من صرفِه إلى معنى قلَّ استعمالُه فيه ؛ يقولُ الطبري ت(٣١٠)هـ " توجيهُ معاني كتاب اللهِ إلى الظاهرِ المستعملِ في النَاسِ أولى من توجيهها إلى الخفيِّ القليلِ في الاستعمالِ"[٦٤] . (٣) احتمالُ اللفظِ للمعنى الذي صُرفَ إليهِ وذلكَ لا يتمُّ إلاَّ بأربعِ مقاماتٍ ؛ الأول : بيانُ امتناعِ إرادةِ الحقيقةِ ، الثاني: بيان صلاحية اللفظِ لذلكَ المعنى الذي عيَّنه وإلا كان مُفتريًّا على اللغةِ ، الثالث : بيان تعيين ذلكَ المجمل إن كانَ له عدة مجازاتٍ ، الرَابع : الجواز عن الدليل الموجب لإرادةِ الحقيقة . فما لم يقمْ بهذه الأمور الأربعةِ لا يصحُّ صرفه.[٦٥]

---

[٥٩] ينظر : أثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية عند المتكلمين ص ٢٤٢ : ٢٤٣

[٦٠] البرهان للزركشي ٢ / ١٦٧

[٦١] أساس التقديس ص ١٨٢ والتأويل اللغوي في القرآن الكر يم ص ٨١

[٦٢] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطَّبَرِيمفسّر ومؤرّخ وفقيه، ولُقِّبَ بإمام المفسرين . ينظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٧٠

[٦٣] تفسير الطبري ٢ / ٤٥٧ وينظر التفسير اللغوي في القرآن الكريم ص ٨٢

[٦٤] تفسير الطبري ٦ / ٣٠٦ وينظر التأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٨٣

[٦٥] بدائع الفوائد لابن القيم – دار الرياض الحديثة — طبعة المنيرية بمصر – ٤/ ٢٠٥ والتأويل اللغوي في القرآن ص ٨٦

(٤) دلالةُ السياقِ على المعنى المصروف إليه فالسياقُ يرشدُ إلى تبيين المجملِ وتعيينِ المحتملِ والقطع بعدم احتمالِ غير المرادِ وتخصيصِ العامِ وتقييد المطلقِ وتنوع الدلالةِ[٦٦]. (٥) توافق التأويل مع الأصلِ الشَّرعيّ فإن حُملَ اللفظُ على معنى مخالفٍ لأصلٍ شرعيٍّ يعدُّ تأويلًا باطلًا باتفاقِ العلماءِ .[٦٧] (٦) أن يكونَ المتأوّل أهلًا لذلكَ ؛ وذلكَ لأنَّ إدراكَ لمعنى المراد يتطلبُ معرفةً واسعةً بالعربيةِ وأساليبها والعلمِ بأصولِ الشرعِ وأحكامهِ .[٦٨]

سادسًا : أقسامُ التَّأويل قُسِمَ التَّأويلُ إلى قسمينِ :[٦٩] (القسمُ الأول : المنقاد) وهوَ ما لا تُعرض فيه بشاعة ولا استقباحٍ وقد يقعُ الخلافُ فيه بين العلماءِ لسببينِ أحدهما : اشتراكُ اللفظِ نحو قوله تعالىلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [٧٠] فهل المرادُ هو بصرُ العينِ أم بصرُ القلبِ ؟ ، أو لأمرٍ راجعٍ إلى النظمِ نحو قوله تعالى **"الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَدًا وَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ"**[٧١] هل هذا الاستثناء مقصورٌ على المعطوفِ أم مردود إليه وإلى المعطوفِ عليه معًا. والثَّاني : غموضُ المعنى ووجازة اللفظِ نحو قوله تعالىوَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[٧٢] ، (القسمُ الثاني : المستكره) وهوَ ما يُستبشعُ إذا سُبِرَ بالحُجةِ ويُستقبحُ بالتدليساتِ المزخرفةِ وذلكَ على أربعةِ أضرب ؛ الأول : أن يكونَ لفظٌ عامٌّ فيُخصَّصُ في بعضِ ما يدخلُ تحته نحوَ قولِه **تعالى "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ"**[٧٣]حملَه

---

[٦٦] بدائع الفوائد لابن القيم ٤ / ٢٠٦ والتأويل اللغوي في القرآن ص ٨٦

[٦٧] البرهان في أصول الفقه للجويني تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب – الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١ / ٥٣٦

[٦٨] ينظر : البرهانِ في علومِ القرآنِ ٢ / ١٧٣- ١٧٤ والتأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٨٧

[٦٩] ينظر : مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني – تحقيق / أحمد حسن فرحات – دار الدعوة بالكويت – الطبعة الأولى ١٩٨٤م ص ٤٨ : ٥١ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ١٧٨ : ١٧٩

[٧٠] الأنعام : ١٠٣

[٧١] النور : ٤ و ٥

[٧٢] البقرة : ٢٢٧

[٧٣] التحريم : ٤

البعضُ على عليّ بن أبي طالبٍ فقط .الثاني : أن يلفقَ بين اثنينِ كقولِ مَن زعمَ تكليفِ الحيواناتِ في قولِه **تعالى"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"** [٧٤]مع قوله تعالى **"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** "[٧٥]أنهم مكلفون كبني آدم .الثالثُ : ما استعيرَ فيه كقولِه تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ[٧٦] في حملِه على حقيقتهِ. الرَّابعُ : ما يُستعانُ به باشتقاقاتٍ واستعاراتٍ بعيدة كما قال بعضُ المتكلمين في البقر إنَّه إنسانٌ يبقرُ عن أسرار العلومِ ، وفي الهدهدِ إنه إنسانٌ موصوفٌ بجودة البحثِ والتَّنقيبِ.[٧٧] ومن العلماءِ مَن قسَّم التأويلَ إلى (صحيحٍ وفاسدٍ) والمرادُ أنَّ التأويل الذي يُوافقُ ما دلَّت عليه النصوصُ وجاءتْ به السنةُ هو التأويل الصحيح وغيره هو الفاسد ؛ أي أن التأويل الصحيح ما أُخذ بدلالة النصِ الظاهرة المؤيدةِ بالآثار المرويةِ عن الرسولِ والصحابةِ وغيره يكونُ باطلًا . وجملةُ القولِ إن التأويلَ المحمود هو الذي يتمسك صاحبه بالقوانين التي وضعها العلماء للتأويلِ وأي خروجٍ عن تلك القوانين والضوابطِ ينتجُ عنه تأويلاتٍ ضعيفةٍ لا تقوم بها حجةٌ تُخرجُ النصوص عن مرادها والشرعَ عن مقاصده ؛ وهذا الصنيعُ هو المرادُ بقوله تعالى **"مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"**[٧٨] وقوله تعالى" **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ"**[٧٩] وهذا هو التأويل المذموم الذي انتهجه بعض الفلاسفة والطوائف التي تنتسب إلى الإسلامِ من أجل تعطيل الشَّرعِ وتحريفِ التنزيلِ وإيقاع الناسِ في الفتنة والضلالِ .[٨٠]

نتائج البحث

[٧٤] فاطر : ٢٤

[٧٥] الأنعام : ٣٨

[٧٦] القلم : ٤٢

[٧٧] مقدمة جامع التفاسير للراغب ص ٤٩والبرهان في علوم القرآن ٢ / ١٧٩

[٧٨] النساء : ٤٦

[٧٩] آل عمران : ٧

[٨٠] التأويل اللغوي في القرآن الكريم ص ٩٨

يُستنتجُ مما تمَّ تناولُه أنَّ المتكلمين اهتموا باللغة العربية وفنونها اهتمامًا شديدًا باعتبار أنها هي الخطوة الأولى لِمن أرادَ تعلُّمِ أي علمٍ من علومِ الشريعة ؛ كعلمِ العقيدة الذي اعتمدَ على اللغة ودلالة ألفاظها في فَهم النصوصِ وتأويلِها بما يتناسب معَ سياقها ، وظهرَ ذلكَ جليًّا في تفسير الإمام الماتريديّ للآيات المتعلقةِ بمسائل علم الكلام خاصةً التي تناولت صفات الله فقد اعتنى بإظهار المعاني اللغوية المتعددة للفظة المفردة وتأويل كل معنى بحسبِ السياقِ الوارد فيه وبما يليقُ مع ذاتِ الله جلَّ وعلا — فنراه يسوّغُ التأويل اللغوي في دفعِ ما يُوهمه المعنى الظاهر من نسبة المحالِ إلى الله لذلكَ كانَ من دواعي الخروج على المقتضى اللُّغوي الحقيقي لديه هو إزالةُ اللبسِ والحيرة المتَرتبَينِ على تركِ اللفظِ بدون بيانِ ما يُفهمُ منه وإعمال العقلِ في فَهمِ النصوصِ بالجمعِ بين الأدلةِ العقليَّة والنصوصِ والشرعيةِ .

تقديم المناقشة

أثرُ التأويلِ اللغويّ في المسائل العقديَّةِ عند الماتريديّ

استعملَ المتكلِّمون التأويلَ اللغويَّ بجوانبه المتعددةِ في تحليلهم لأمورِ العقيدة وأبوابه المختلفة كالإلهيَّاتِ والنُّبوات والسَّمعياتِ وغيرها ؛ مِن بينهم الإمامُ الماتريديُّ الذي اعتنى بالتأويل اللغويّ في بيان المسائل العقديَّةِ وجعله وسيلة للردِ على الفِرقِ والطَّوائفِ المخالفةِ لأهلِ السنةِ والجماعةِ ؛ ويمكنُ بيانُ ذلك من خلالِ عرضِ بعضِ النماذجِ من تأويله لبعض الصِّفاتِ المنتسبةِ للهِ في كتابِه (تأويلاتِ أهلِ السنة) على النحوِ التالي .

النموذجُ الأول : صفةُ الاستواء لفظُ (الاستواء) من الألفاظِ المشتركة ؛ وذلكَ لتعددِ معناه في اللُّغة فقيلَ " الاستواء بمعنى الاستقرار يُقال : استقرَ فوقَ ظهرِ دابتِهِ أي : استقرَّ ، وقوله تعالى "**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ**"....أي استقرت في المكانِ .[٨١] وبمعنى العلو والارتفاعِ قالَ تعالى "**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ**

[٨١] هود : ٤٤ وينظر : لسان العرب لابن منظور م (س و ى) ١٤/ ٤٠٨ والصحاح للجوهري م (س و ى) ٨ / ٧٤

أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" أي ارتفعت وعلوتَ.[٨٢] وبمعنى الإقبال على الشيء والقصدُ إليه، وبمعنى التمامِ والانتهاء من الشيء من قوله تعالى" **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ".[٨٣]وغيرها من المعاني . وهذا اللفظُ من الألفاظ المنتسبةِ إلى اللهِ والمثُبتةِ كصفةٍ من صفاتِه كما اتفقَ عليه المتكلمون إلَّا إنهم اختلفوا في معناها وماهيتها، وقد أوضح الماتُريديُّ هذا الاختلافَ من خلالِ تأويلِه لقوله تعالى **"إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ"**[٨٤] مِن عدة أوجهٍ :[٨٥] (الوجهُ الأول) ثبتَ من طريق التنزيل بأنَّه سبحانه (استوى على العرش) وقد لزم القولُ بأنَّه (ليس كمثله شيءٌ) في الأرض وعلى ذلك اتفاق القولِ ألا يقدر كلامه بما عُرفَ من كلامِ الخلقِ ولا فعله به وما يُوجبه ولا علمه ، ولا يُرادُ به المفهوم من الخلقِ لكن الوجه الذي يليق به وما يُوجبه من حقِّ الربوبيَّةِ . (الوجه الثاني) لو كانَ العرشُ في قوله **"ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** "هو ما فهمه أهل التشبيهِ من مكان لوجبَ أن يُفهم من الاستواء عليه الاستقرار ، وأن يكون لله تعالى مكانا يوصف الكون فيه وعليه ؛ لأنه ليس من كون أحدٍ في مكان وإن جلَّ قدره وعَظُمَ خطره رفعةٌ ولا نباهةٌ في ما يتعارفُ من أمر الملوك والأجلَّةِ ؛ بل كلٌّ منسوب إلى مكانٍ من جهةِ التمكين والقرارُ منسوبٌ إلى استعانةٍ وحاجةٍ منه إليه – جلَّ سبحانه عن ذلكَ – وعلى أنَّه إما يكون مثله أو أعظم منه ؛ فلو كانَ كذلك كان له عديلا بالعظمةِ أو دونه ، ومن السخفِ أن الجلوس على مكانٍ لا يطمئنُ به أو يقصر عنه إذ قد يجوز أن يُزادُ فيه فيكون أعظم من – جلَّ سبحانه عن ذلك الوصف – بل كان ولا مكان فهوَ على ما كان يتعالى عن الاستحالةِ والتَّغيُّرِ إذ هو الحدثُ وأمارة الكونِ بعد أن لم يكن . فالأصلُ أنه لو كانَ فهوَ بإضافةُ اللهِ إلى العلوِّ عليه تعظيمٌ له ؛ فكلُّ ما يُضافُ إلى اللهِ تعالى أو يضافُ الله تعالى إليه من جهةِ الخصوصِ فهوَ تعظيمٌ له . (الوجهُ الثالثُ) قوله **"ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** "إخبارٌ عن فعلِه سبحانه الذي في التَّحقيقِ يُضافُ إليهِ في خلقِ الخلقِ على اختلافِ المخرجِ في القول نحو ذِكْرِ مرةً أبدَعَ وجعلَ وفطرَ وأنزلَ وأثبتَ وكتبَ وأعطى وأنشأ وغير ذلك

---

[٨٢] المؤمنون : ٢٨ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٤ / ٣٤٠ والكليات للكفوي ص ١٥٠

[٨٣] القصص : ١٤ وينظر لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٤٠٨

[٨٤] وردت هذه الصفة في : الأعراف : ٥٤ و يونس : ٣ و الرَّعد : ٢ والفرقان : ٥٩ والسجدة : ٤ والحديد:٤

[٨٥] تأويلات أهل السنة ٢ / ٢٤١ : ٢٤٢ وينظر : كتاب التوحيد ص ١٣٠ وأساس التقديس للرازي ص ٢٠٢

من الألفاظ الدالة على فعلهِ ، فيجبُ توجيهُ كل مِن ذلك إلى الوجهِ الذي يليقُ فيه القولُ بخلقَ وأنزلَ وفطرَ وهكذا ومثله (استوى) إذ هو إضافةٌ إلى فعلهِ.

(الوجهُ الرابعُ) قوله تعالى "**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** "يحتمل أن يكونَ خلقَ العرشَ ورفعَه وأعلاهُ بعد أن كانَ العرشُ على الماء نحو قوله تعالى "**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ**"[٨٦] وليس (ثم) ينتقلُ من حالٍ إلى حالٍ إذ لو كانَ كذلِكَ لكانَ يصيرُ حيثُ ، ثم ينتقل من خلقٍ إلى خلق فيلا ما يخلقُ فيكونُ الوقتُ الذي يصيرُ إلى العرشِ صائرًا إلى الثَّرى وفي الوقتِ الذي يحدثُ خلْقُ ما في الأرضِ وما في السمواتِ منتقلًا من ذا إلى ذاكَ ؛ وذلكَ تناقضٌ فاسد وفيه بطلانٌ لمعنى القولِ بالاستواءِ على العرشِ بل يكونُ غير مستوٍ عليه حتى يفرغَ من خلقِ جميعِ ما يكون أبدًا – جلَّ سبحانه عن هذا التَّوهمِ – (الوجه الخامسُ) أن يكونَ معنى قولِه تعالى "**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** " استوى إلى العرشِ في خلقهِ ورفعِهِ وتمامهِ ؛ بجعلِ (على) بمعنى (إلى) فهوَ من حروفِ الخفض وقد يُوضع بعضها موضعَ بعضٍ نحو قوله تعالى "**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**" [٨٧] بمعنى إليه السبيلُ ، فالعرشُ قد كانَ على الماءِ كما ذكر ثم رفعَه إليه وأتمَّه . (الوجه السادس) أنَّ الناسَ في خَلقِ الله مختلفون ؛ فمنهم مَن جعله الخلق نفسه دونَ أن يكونَ الله بذاتِه يلحقه وصفٌ سوى إضافة الخلقِ إليهِ في أن كانَ به فعلى ذلكَ قولُه "**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** "إما هوَ ما ذكر من غير أن كان سبحانه يلحقه وصفٌ لم يكن له ، ومنهم مَن يراهُ خالقًا بذاتِه ليكونَ جميعُ الخلائقِ إلى الأبدِ بتكوينِه الذي يُعبِّرُ عنه بقولِه (كُنْ) من غيرِ أن كانَ ثمَّ كافٌ ونونٌ على كونِ كلِّ شيءٍ عليه به من غيرِ تغييرٍ عليه ولا زوال عما كان عليه إذ لا شيء غيره ؛ فكلُّ معنى لو حُقِّقَ أوجبَ تَغَيُّرًا أو زوالًا أو قرارًا أو نحو ذلكَ فالله سبحانه يجلُّ عنه ويتعالى إذ ذلك علم الحدثِ وأمارةُ الغيريَّةِ . (الوجه السابع) أنَّ الله تعالى هوَ الذي يُرى فعله على ما عليهِ فِعلُ الخلقِ مِن التَّحركِ والزوالِ والسُّكون والقرار إضافته من ذلكَ وصفه بالتحركِ من مكانٍ إلى مكانٍ وحالٍ دونَ حالٍ محالٌ

[٨٦] فصلت : ١١

[٨٧] النحل : ٩

فاسد ؛ لذلكَ بطُل القولُ بالمكانِ في جميعِ الأقاويلِ . وتأييد كلِّ ما ذُكر قوله تعالى "**تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** "[٨٨] وصفه لذاته بالربوبيةِ بالتعالي جميعِ معاني المرْبوبين إذ من حيثُ التَّشاكلُ يُوجبُ خروجُه من أن يكونَ ربًّا والآخرُ مربوبًا فإذا ثبتَ أنَّ كلَّ شيءٍ من كلِّ جهةٍ مربوبًا ثبتَ سُبحانيته من ذلكَ الوجهِ.[٨٩]

النَّموذجُ الثاني : صفةُ الوجهِ أصلُ الوضعِ اللُّغويِّ للفظِ (الوجهِ) هوَ الجارحةُ المعروفةُ المركَّبُ فيها العينان وذكرَ علماءُ المعاجمِ عدة معاني أُخرى (للوجهِ) غير المعنى الحقيقيِّ له مِن أشهرِ هذه المعاني ما يلي :[٩٠]

(الأول) الوجهُ هو ذات الشيءِ وحقيقته ؛ قال الجوهريُّ ت(٣٩٣)هـ[٩١] " يقالُ : هذا وجهُ الرأيِّ أي هو الرأيُّ نفسه"[٩٢] (الثاني) الوجهُ بمعنى الجهةِ من قوله تعالى **"فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ"**[٩٣] أي جهتُه التي أمركم بها ، وقيلَ وجه الله الجهةُ التي ارتضاها قبلةً وأمرَ بالتَّوجُّهِ إليها.[٩٤] (الثالثُ) الوجهُ بمعنى الجاهِ والمنزلةِ يُقالُ : لفلانٍ وجهٌ عريضٌ وفلانٌ أوجهُ من فلانٍ أي أعظمُ قدرًا وجاهًا ، ويُقالُ أيضًا أنَّ الوجه هو العزُّ والجاهُ .[٩٥] (الرَّابعُ) الوجهُ أوَّل كلِّ شيءٍ وبدايته من قولِه تعالى" **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ**" [٩٦] وقيلَ أيضًا بمعنى القصدِ بالفعلِ من

---

[٨٨] الأعراف : ٥٤

[٨٩] تأويلات أهل السنة ٢ / ٢٤٢ و ٣ / ٢٨٥

[٩٠] ينظر : المفردات للراغب ص ٥١٣ ولسان العرب ١٣ / ٥٥٥

[٩١] هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريأصله من فاراب، ودخل العراق صغيراقرأ العربية على أبي علي الفارسي، والسيرافي، ثم طاف بلاد ربيعة ومضر، فأخذ العربية مشافهة من العربأشهر كتبه تاج اللغة وصحاح العربية المعروف اختصارا بـ (الصحاح) . ينظر ترجمته في : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٤٤٦

[٩٢] الصحاح للجوهري ٢ / ٢٦٨

[٩٣] البقرة : ١١٥

[٩٤] الصحاح ٢ / ٢٦٧ وينظر : الدر المصون ١ / ٤٥٣

[٩٥] لسان العرب ١٣ / ٥٥٤ : ٥٥٥

[٩٦] آل عمران : ٧٢

قولِه تعالى " **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**" [٩٧]أي مَن قصده بأمرِه وفعلِه إلى اللهِ سبحانهِ .[٩٨] وقد اتخذ الماتريديُّ من هذه المعاني وسيلةً لتأويلِ معنى (الوجه) وبيانِ إضافتها كصفةٍ من صفاتِ الله؛ فأوردَ في تأويلِ قوله تعالى "**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**"[٩٩] " قيلَ : ثمَّ وجهُ الله يعني ما قصدتم وجه اللهِ ، وقيلَ : ثمَّ قِبلةُ اللهِ ، وقيلَ : ثمَّ اللهُ على ما ذُكرَ من جواز التَّكلمِ بالوجهِ على إرادةِ الذاتِ ؛ أي ليس هو ائبٌ عنهم وقيلَ : ثمَّ وجه اللهِ أي : ثمَّ رضا اللهِ ، وقيلَ : ثمَّ وجه اللهِ أي : ثمَّ وجهُ الذي وجهكم إليه إذا لم يجيء منكم التقصير ، وقيلَ : ثَمَّ بلوغكم ما قصدتم بفعل الصلاةِ من وجهِ اللهِ ورضاه أي ظفرتم به ."[١٠٠] وفي تأويلِ قوله تعالى" **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**"[١٠١] ذكرَ الماتريديُّ أنَّ كلمةَ (وجهٍ) تحتملُ معنيين " يحتملُ : ابتغاء رضوان اللهِ ويحتملُ ابتغاء وجهٍ يكون لهم عندَ اللهِ وهوَ المنزلة والرفعة ولذلكَ سُمِّيَ الرفيعُ من المنزلةِ (وجيهًا) فيكون المعنى ؛ أي ابتغاء المنزلةِ والرفعة عند ربهم وابتغاء رضوان الله ومرضاتِه ."[١٠٢]وفي قولِه تعالى" **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**" [١٠٣] أوَّلَ الماتريديُّ (وجهه) بكلِّ أمرٍ وجهةٍ يُتوجَّهُ إليها والمعنى : أنَّ كل وجهةٍ يتوجَّه إليها الإنسان ويعمل به هالكٌ إلا الجهة والوجه الذي أمرَ هو سبحانه بالتوجُّه إليه والعمل بهِ .[١٠٤] وقبيلُه كذلك قوله تعالى "**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** " [١٠٥] . مما سبقَ يتضح أنَّ الماتريديَّ سوَّغَ استعمال معاني لفظ (الوجهِ) بما يتناسبُ مع سياقِ كلِّ آيةٍ مبتعدًا بذلكَ عن شبهة التجسيم والتشبيه ؛ فإطلاقه على

---

[٩٧] لقمان : ٢٢

[٩٨] لسان العرب ١٣ / ٥٥٤

[٩٩] البقرة : ١١٥

[١٠٠] تأويلات أهل السنة ١/ ٨٤

[١٠١] الرعد : ٢٢

[١٠٢] تأويلات أهل السنة ٢ / ٦٢٩

[١٠٣] القصص : ٨٨

[١٠٤] تأويلات أهل السنة ٣ / ٦٣٠

[١٠٥] الرحمن : ٢٦

الوجه بالذات أو الجهةِ التي أمر الله بها أو القدر العظيم أو المنزلةِ العالية أو قصد الله بالفعلِ فكلُّها معانٍ لغوية صحيحة لائقة بالإطلاقِ على الله.

النموذج الثالث : صفةُ العينِ صرَّح القرآن الكريم بأن لله تعالى عينًا أو أعينًا في مواضع عدة منها قولُه تعالى" **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**" [١٠٦] وقولُه تعالى "**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**"[١٠٧] ، والعينُ في اللغةِ تدلُّ على مصدر النظر والبصر ؛ قالَ ابن فارس ت(٣٢٩)هـ[١٠٨]" العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عضوٍ به يبصر وينظر"[١٠٩] وعلماءُ العربية جعلوا للعين معانٍ متعددة أشهرها : أنَّ العين حقيقة الشيء ونفسه يُقالُ " هو بعينه أي بنفسه"[١١٠] وقيل العين عين الماء والجاسوس وبمعنى الإشفاق تقول العرب ؛ على عيني قصدتُ زيدًا يريدون الإشفاق عليه ، وجعلته نصب عيني أي من شدةِ الاعتناءِ بالشيء وترك الغفلة عنه ."[١١١] أمَّا عن تأويل صفة العين المنتسبة لله سبحانه وتعالى ؛ فقد حملها علماء التأويل على عدة معانٍ كالعلم والرؤية والحفظ والرعاية والكلاءة وشدة العناية وهذا ما ذكره الماتريديُّ أيضًا ؛ يقولُ في تأويلِ قولِه تعالى"**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**" قالَ بعضُ أهلِ التأويلِ (بأعيننا) أي بأمرنا ، وقالَ بعضهم : بمنظرنا ومرآي منَّا ، وعندنا يحتمل وجهين ؛ (أحدهما) قوله بأعيننا أي بحفظنا ورعايتنا ؛ يُقالُ عينُ اللهِ أي حفظه عليك حيثُ لا يُفهم من السياقِ العينُ نفسها ، (الثاني) أي بإعلامنا أَيَّدَكَ لأنَّه لولا تعليم الله إياه اتخاذ السفينة ونَجْرَها لم يكنْ ليعرف أنْ كيف يتخذ وكيفَ ينْجُرُ؟ إنما عَرِف ذلك بتعليمِ اللهِ إياه ."[١١٢] وفي تأويلِ قوله تعالى " **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** " [١١٣] جعلَ الماتريديُّ المرادَ من الصنعِ

---

[١٠٦] طه : ٣٩

[١٠٧] هود : ٣٧

[١٠٨] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازيمن العلماء الأفذاذ الذين ألفوا في عدة فنون في اللغة والأدب والبلاغة والأصول والتفسير منها الأمالي ومعجم مقاييس اللغة ، ينظر ترجمته في : سير الأعلام ١٢ / ٥٣٨ وشذرات الذهب ٣/ ١٣٢

[١٠٩] مقاييس اللغة ٤ / ١٩٩

[١١٠] لسان العرب ١٣ / ٢٩٨

[١١١] ينظر : مختار الصحاح ١/ ٢٢٣ وتاج العروس ١ / ٨١٨ ولسان العرب ١٣ / ٢٩٨

[١١٢] تأويلات أهل السنة ٢ / ٥٢٥ : ٥٢٦ وينظر ٣ / ٤٠١

فعل الخير والمعروف أي لتصنع إليكَ المعروف والإحسان ، (وعلى عيني) على حفظي ، يُقال : عين الله عليك أي كن في حفظِ اللهِ ، وقيلَ : لِتُربى على عيني وعلى علمي ."[١١٤] وفي تأويل قوله تعالى **"وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا "**[١١٥] قالَ الماتُريديُّ " أي بمنظرٍ وعلمٍ منا ؛ فإن كان الأمرُ بالصبر على القيامِ بتبليغِ الرسالة فيخرجُ قوله (بأعيننا) مخرج وعد النصر والمعونة ، وإن كان الأمر بالصبر على تركِ مكافآتهم أو القيام بالأمور التي ما بينه وبين ربه تعالى فيصيرُ كأنه قال : على علم منا بما يكون منهم من التكذيب والاستهزاء والأذى كلَّفناكَ لا عن جهلٍ منا بذلك."[١١٦] والذي دفعَ الماتريديُّ إلى تأويل (العين) بعيدًا عن معناه الحقيقيّ عدة أمورٍ :[١١٧] (الأوّل) نفي المحال عن حقِّه تعالى وذلكَ إذا تُرِكَ لفظُ العين على ظاهرِهِ وحقيقتِهِ إلى الله تعالى ، فدفعُ ما يُوهمُ المحال من التجسيم والتشبيه وغيرهما من الأسباب الرئيسة في اللجوء إلى التأويل والخروج عن الظاهرِ.(الثاني) سياقِ النصِ القرآني لا يدلُّ على الحقيقة ؛ فالمواضعُ التي ورد فيها وصفُ الله تعالى بالعين في القرآن لا يمكن أبدًا حملها على المعنى الحقيقي وذلكَ لأنها جميعًا وردتْ في سياق لا يُفهم منه إلَّا الحفظ والعناية وشدة الرعاية لمن خاطبهم الله تعالى في هذه النصوصِ. (الثالث) التفسير البلاغي لنصوصِ صفة العين ؛ فالمعاني التي أوَّلَ بها الماتريديُّ وأهلُ التأويلِ صفة العين جميعها معانٍ لغوية متفقٌ عليها ساعدت في بيان المعنى الخفيّ لتلك النصوص سواء بطريقِ التمثيل الذي هو أبلغ من التعبير بالحقيقة وأشدُّ وقعا وتأثيرًا كتأويل العين بالحفظ وشدة العناية ، أو بطريق الكنايةِ كما أطلقت العين في الآياتِ وأُريدَ بها لازمها وهو إبصار الشيء والإحاطة به علمًا وقربًا ؛ فالعينُ تُستعار للمراقبة والملاحظة والمراد الكناية بالمعنى المجازي عن لازمه وهو الحفظ ، أو بطريق المجازِ ؛ فالعينُ مجازٌ عن الرعايةِ والحراسةِ بطريقِ إطلاقِ اسم السبب وهو (نظر العين) والمراد

---

[١١٣] طه : ٣٩

[١١٤] تأويلات أهل السنة ٣ / ٢٩١

[١١٥] الطور : ٤٨

[١١٦] تأويلات أهل السنة ٤ / ٦٠٠

[١١٧] ينظر : تأويلات أهل السنة ٣ / ٢٩١و ٤٠١ ، وكتاب التوحيد ص ١٠٨ وما بعدها وأثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية ص ٢٧٩ وما بعدها

(المسبب) وهو الحفظ والعناية والرعاية فشأن مَن ينظر إلى الشيء بعينه أن يحفظه ويرعاه . فهذه الأمور وما تحمله من تأويلات هو اللائق بالإطلاقِ في حقِّ الله تعالى وأولى من ترك النصوصِ دون بيانِ ما يفهم منها .

النموذج الرابع : صفة اليدِ يدلُّ لفظُ اليدِ حقيقةً على التعبير عن الجارحة المعروفة أيضا ؛ فهو عضوٌ من أعضاءِ الجسد ، غير أنَّ علماءَ اللغة قد أوردوا له عدة معاني أخرى مجازًا عنه ؛ منها ما ذكره الجوهري ت(٣٩٣)هـ بقوله " اليدُ القوة وأيَّده : أي قوَّاه ، ومالي بفلانٍ يدان أي : طاقة ."[١١٨] وقيلَ اليد هي النعمة يُقالُ لفلانٍ عندي يد أشكره عليها أي نعمة ، وقيل اليد بمعنى العطاء والجود ، وبمعنى التأييد والنَّصرِ ومعنى المِلك والتَّصرف يُقالُ : الضيعةُ في يد فلانٍ أي : ملكه وتصرفه ."[١١٩] أمَّا عن المواضعِ التي وردتْ فيها صفةُ اليدِ المنسوبةِ إلى الله تعالى ؛ فقد تنوعتْ بينَ الإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ منها قوله تعالى" **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** " [١٢٠] وقوله تعالى **"وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا** " [١٢١]وقوله تعالى **"أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ** "[١٢٢] وقوله تعالى بطريق الكناية **وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**" [١٢٣] . والعلماءُ اختلفوا في إثباتِ صفةِ اليدِ إلى الله فمنهم من جعلها صفة ذاتية لله سبحانه على ما يليقُ بجلاله وعظمته ليست جارحة وليست بمعنى النعمة ولا القدرة ولا غيرها [١٢٤]، ومنهم من اختلفوا في بيان معانيها أمثال الماتريديّ الذي أوَّل صفةُ اليد بما لا يدلُّ على جارحة أو عضو وأنَّ ذلك مُنزَّهٌ عن الله تعالى ؛ وقد بيَّنَ ذلك من خلالِ تأويلِه لقولِه تعالى" **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ**

---

[١١٨] الصحاح في اللغة ٢/ ٢٩٨ وينظر لسان العرب ١٥ / ٤٠٩ .

[١١٩] المفردات للراغب ص ٥٥

[١٢٠] الفتح : ١٠

[١٢١] المائدة : ٦٤

[١٢٢] ص : ٤٥

[١٢٣] الزمر : ٦٧

[١٢٤] كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٩٩ وأثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية ص ٢٨٧ وما بعدها

لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ " [١٢٥] في عدةِ أوجهٍ [١٢٦]: (الأوّل) أنَّ تخصيصَ إضافة الشيء الواحد إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد ؛ وذلك الفرد كإضافته (رب هذا البيت – وأن المساجد لله – ومحمد رسول الله) ؛ فتخصيصُ هذه الأشياء بالإضافة إليه وإن كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم لتلك الأشياء ، ومن ذلك إضافة خلق آدم له حين قال " **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** " فإن كان جميع الخلائق هو خلقهم وتخرج كلية الأشياء إلى الله وكليَّةِ الخلائق مخرج تعظيم الرب والمدح له نحو قوله تعالى "**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**" [١٢٧] .(الثاني) أنَّ أهل الكلام قد تكلَّفُوا في إضافةِ اليد إلي الله فمنهم من قال القوة ومنهم من قال العظمة وغيرها ؛ ولكن هذا التكلُّف في ذلك فضلٌ مع ما تُضاف إليه اليد إلى مَن لا يدَ له ولا جارحة ولا عضو نحو قوله تعالى "**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**" [١٢٨] لم يفهم أحدٌ بذكر اليد له والخلف ما يُفهم من الخلق وكذلك لم يفهم ما ذكر من مجيء الحق ولا زُهوق الباطل ما يفهم من مجيء الخلق وذهابهم كقوله تعال " **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** " [١٢٩] وغيرها مما يدلُّ على تعاليه سبحانه وتعالى عن معنى الغير. (الثالث) يحتملُ أن يكونَ إضافة اليد لنفسه للعملِ في المشاهدِ لو احتملَ كونَ ذلكَ من الخلق نحو قوله تعالى "**ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيسَ بِظَلَّٰم لِّلعَبِيدِ**" [١٣٠] مما يُعلم في الحقيقة أن ذلك لم يكن بكسبِ اليد حقيقةً ولا عمله من نحو الكفر ؛ لكنه ذكر اليد لما باليد يُكتسب في الشاهد وبها تُعمل أكثر الأعمالِ والأفعالِ ، وأضاف ذلك إليها لما ذُكر وإن لم يكن منها عملٌ حقيقةً . ومما يُؤكد تلك الوجوه ما أورده الماتريديُّ أيضا في تأويلِ قوله تعالى " **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**" أنَّ معنى اليد تحتملُ أن تكونَ بمعنى " يد الله في جزاء المبايعة فوق أيديهم في المبايعة أو كلامٍ نحوه ، بدلالةِ قوله تعالى "**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ**

---

[١٢٥] ص : ٧٥

[١٢٦] تأويلات أهل السنة ٣ / ٢٨٤ : ٢٨٥ و٤ / ٣٢٣

[١٢٧] الرعد : ١٦

[١٢٨] فصلت : ٤٢

[١٢٩] الإسراء : ٨١

[١٣٠] الحج : ١٠

أَيْدِيهِمْ" وجائز أن يكون قوله تعالى "**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** " بمعنى يد الله في الجزاء إذا أوفوا بالعهد فوق أيديهم عند رسول الله لأنه لما بايعوا رسول الله كانت لهم عنده يدٌ فيُخبر أن جزاء الله الذي يجزيهم بوفاء تلك اليد المبايعة فوق أيديهم التي لهم عند رسول الله . ويُحتمل كذلك أن يكون ما ذُكر من يد اللهِ وإضافتها إليه يُريد بها رسول الله كأنه يقول يد رسول الله فوق أيديكم عند المبايعة التي بايعتم ، ويحتملُ أنَّ يدَ رسول الله بالمد والبسط بالمبايعة فوق أيديهم بتوفيق الله ومعونته على مبايعتكم رسوله فوقٌ وخيرٌ من وفائكم ببيعته وعهده ، وجائزٌ أن يكون قوله "**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** أي يد الله في النصر لرسوله فوق أيديهم .[١٣١] وفي تأويل قوله تعالى "**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**" ذكرَ الماتريديُّ أنَّ اليهودَ في قولهم " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**" لا يعنون بذلك أن يده موثقة مغلولة حقيقة اليدِ وحقيقة الغل ولكن وصفوه بالبخل وقالوا : أمسكَ ما عنده بخلًا منه – تعالى الله عن ذلك – ممسكة عنهم الرزق فلا تنبسط كما كلن يبسط ؛ فعلى ذلك يكون المعنى كناية عن البخلِ ووصفٍ به لا حقيقة الغل – تعالى سبحانه وتنزه – لذلك قال تعالى " **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** " أي أن أيديهم هي الممسكة عن الإنفاق وهم الموصوفون بالبخلِ والشُحّ وأنَّ نعمَه مبسوطةٌ يُوسع على مَن يشاء ويفتر على من يشاء ؛ وعلى هذا التأويل أيضا لا يحتمل أن يفهم من إضافة اليدِ إلى الله ما يُفهم من الخلق لما وجد إضافة اليد إلى من لا يحتمل أن يكون له اليد كما ذُكر .[١٣٢]

النموذج الخامس : صفةُ الكلامِ الكلامُ مِن (كَلَمَ) تدلُّ على نطق مفهمٍ ؛ تقولُ : كلَّمتُه وكَّلمه تكليمًا وهو كليمي إذا كلَّمكَ أو كلَّمتُه .[١٣٣] قالَ الرَّاغبُ ت(٥٠٢)هـ " فَالْكَلَامُ يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النحويين يقع على الجزء منه، اسما كان، أو فعلا، أو أداة. وعند كثير من المتكلّمين لا يقع إلّا على الجملة المركّبة المفيدة، وهو أخصّ من القول، فإن القول

[١٣١] تأويلات أهل السنة ٤ / ٥٢٢: ٥٢٣ و ٤ / ٣٢٣

[١٣٢] تأويلات أهل السنة ٢ / ٥٢

[١٣٣] مقاييس اللغة ٢ / ٤٢١

يقع عندهم على المفردات، والكَلمةُ تقع عندهم على كلّ واحد من الأنواع الثّلاثة."[١٣٤] وقيلَ "الكلام : القول أَو ما كان مكتفِياً بنفسه .والكَلِمة :اللفظة، والجمع :كَلِم، والكِلْمة بالكسر لغة فيها، والجمع : كِلَم ككِسَر،وكلَّمهُ تكليماً كِلاَّما، وتكلّم تكلُّماً وتِكِلاَّما تحدَّث .وتكالماً :تحدَّثا .والكلمة : القصيدةوكلمة الله عيسى عليه السَّلام؛ لأَنه كان يُنتفع به وبكلامه، أَو لأَنه كان بكلمة(كُنْ) من غير أَب، أَو لاهتداءِ الناس به .والكلمة الباقية :كلمة التوحيد. ورجل تِكْلامة، وتِكِلاَّمة بالتشديد، وتِكْلام، وكَلْمانىّ ، وكَلَمانىّ بالتحريك، وكِلِّمَانىّ بكسرتين والتشديد – ولاَ نظير له –: جيّد الكلام فَصيحه. وقيل: رجل كِلِّمَانىّ، أَي كثير الكلام، والمرأَة كِلِّمَانيَّة.[١٣٥] وقد وردت في القرآن الكريم على أنَّها صفةٌ من صفاتِ الله تعالى الثابتة عنه تشملُ وحيَه لأنبيائه وتكليمه لهم وكلامُه مع أهل الجنة والنَّارِ وغيرها ، والماتُريديُّ أوَّلَ المرادَ بهذه الصفة المنسوبة لله سبحانه في قوله تعالى "**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** "[١٣٦] من عِدة أوجهٍ : (الأول) قوله تعالى "**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** " اختلفَ فيه ؛ فقيلَ إنَّ المعنى : خلقَ الله كلامًا وصوتًا وألقى ذلكَ في مسامع موسى عليه السلام ، وقيلَ : إن المراد كتب له كتابا فكلَّمه بذلك لا أنْ كلمه بكلامه ، ولا يُلم كيف كانَ سِوى أنَّا نعلمُ أحدث صوتًا لم يكن ، فأسمع موسى ذلك كيفَ شاء وما يشاء مِمَّن شاء لأنَّ كلامه الذي هو موصوفٌ به في الأزل ولا يُوصف بالحروف ولا بالهجاءِ ولا بالصوتِ ولا بشيءٍ مما يُوصفُ كلام الخلقِ بحالٍ .وما يُقالُ هذا كلامُ الله إنَّما يُقال على الموافقةِ والمجاز كقولِه تعالى " **حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**" [١٣٧]ولا سبيل له أن يسمع كلام اللهِ الذي هو موصوفٌ به الأزلِ ، ولكنَّه على الموافقةِ والمجازِ يُقالُ ذلك . (الثاني) قوله تعالى "**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** " يخرج منها مخرج التخصيص لسيدنا موسى عليه السلام إذ ما مِن رسولٍ إلَّا وقد كان له خصوصيَّة ولموسى عليه السلام إذ كلَّمه من غير أن كانَ ثمَّة سفيرٌ أو رسولٌ وكان لسائر الرُسل وحيٌ يُوحي إليهم ، أي دليلٌ لرُسل.

---

[١٣٤] المفردات للراغب ص ٤٤١

[١٣٥] بصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي – الباحث القرآني

[١٣٦] النساء :١٦٤

[١٣٧] التوبة : ٦

(الثالث) دلَّ المصدر(تكليمًا) في قوله تعالى "**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**" على تحقيقِ الكلام ؛ إذ المصادر مما تؤكد حقائق ما له المصادر في موضعِ اللغة ، وأيَّد ذلك الأمر المشهور من تسمية موسى عليه السلام (كليم الله) وما جرى على ألسنِ الخلقِ من القولِ بأن الله كلَّمَ مُوسى فثبتَ أنه كان له في ما كلَّمه خصوصيَّةٌ لم يشركْه فيها غيره من الرسلِ وعلى حقِّ الوحي وإنزالِ الكتب له شريكٌ في ذلك من الرسلِ فثبتَ أن لما وصفَ به موسى خُصوصيَّة كثيرٍ من الرسل بأسماءٍ أو نُوتٍ أوجبت لهم الفضيلةَ بها ؛ وإن كان حَمل ما يحتملُ تلك الخصوصية قد تتوجَّه إلى ما قد يشتلاكُ في ذلك جملةُ الرسل ؛ فعلى ذلك أمرُ تكليم موسى عليه السلام . [١٣٨]

الخاتمة والتوصيات

في نهاية البحث إنني أُودُّ تأكيدَ أنَّ قضيةَ تأويل القرآن الكريمِ قضيّةٌ هامَّةٌ تتطورُ بتطورِ العصور والأزمان واختلاف المعتقدات والأفكار ، ومع ازديادِ الطاعنين في نصوصه وآياته وجبَ توجيهُ أنظار البحثِ والتَّأليف إليهِ بدراسة ألفاظه ودلالاتها دراسةً تواكب هذا التطور بإعمالِ العقلِ مع التَّمسكِ بالأصولِ والثوابت الشرعيَّة من نصوصِ القرآن الكريمِ والسنةِ النبويةِ المطهَّرةِ .

وختامًا أسأل الله تعالى التوفيق والسداد والإخلاص في القولِ والعمل وصلى اللهم وسلَّم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين حقَّ قدره ومقداره العظيم .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أبو منصور الماتريدي حياته وآراءه العقدية) لبلقاسم الغالي – دار التركي للنشر طبعة ١٩٨٩م

إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للزبيدي – المطبعة الميمنية – ط١ – ١٣١١هـ

[١٣٨] تأويلات أهل السنَّة ٢/ ٥٢٨

الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت ١٩٨٨م .

أثر المعنى اللغوي على المسائل العقدية عند المتكلمين للدكتور / إبراهيم سليمان سويلم بجامعة الأزهر – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – طبعة عام ٢٠١٣م

أساس التقديس للرازي – تحقيق الدكتور / أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية –طبعة عام ٢٠٠١م

أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٥٨ م

بدائع الفوائد لابن القيم – دار الرياض الحديثة – مطبعة المنيرية بمصر

البرهان في أصول الفقه للجويني تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب – الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ

البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ط ١ – ١٩٥٨م

تأويلات أهل السنة تحقيق / فاطمة يوسف الخيمي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ٢٠٠١م

التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية للدكتور / حسين حامد الصالح – جامعة صنعاء – دار ابن حزم للنشر–بيروت – الطبعة الأولى عام ٢٠٠٥ م

تاج العروس – لمحمد مرتضى الزبيدي –طبعة الكويت عام ١٩٦٥م

التعريفات للجرجاني – دار الكتب العلمية –بيروت – ١٩٨٨م

تهذيب اللغة للأزهري – تحقيق / عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٦٧م

تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) – طبعة القاهرة عام ١٣٢٣هـ

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) دار الكتب المصرية – ١٩٥٢م

التوحيد تحقيق أ.د / بكر طوبال أوغلي و د/ محمد آروشي – دار صادر بيروت عام ٢٠٠١م

الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لابن الوفاء القرشي – ط ١- ١٣٣٢هـ

دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية للدكتور / عرفان عبد الحميد – مطبعة الإرشاد – بغداد – عام ١٩٦٧م.

دلائل الإعجاز للجرجاني – تحقيق / محمود محمد شاكر – مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٨٤م

سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق/ محمد بن أحمد – بيروت – ١٩٨١م

الفوائد البهية لعبد الحي اللكنوي – طبعة دار المعارف -بيروت

لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت

معجم البلدان لياقوت الحموي – در الفكر – بيروت – ٣ / ٢٤٦

مفتاح السعادة ومصنع السيادة في موضوعات العلوم لطاشي زاده ، تحقيق / كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور – طبعة دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٦٨م

المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني – تحقيق / محمد أحمد خلق – مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٧٠م

مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني – تحقيق / أحمد حسن فرحات – دار الدعوة بالكويت – الطبعة الأولى ١٩٨٤م

(منهج الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة) بحث للدكتور / أحمد حمدي –مجلة الأزهر الشريف – مارس ٢٠٢١م

(منهج الماتريدي في تفسير القرآن بين علم الكلام وأصول الأحكام) للدكتور عبد الرحيم العالمي – استنابول ٢٠١٢م

(منهجية الإمام الماتريدي في تفسيره) بحث إعداد الدكتور/ محمد فضل – أستاذ لتفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة جامعة الطائف – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية – المجلد السابع من العدد الثاني والثلاثين.

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور / على سامي النشار – دار المعارف – مصر – طبعة عام ١٩٦٦م

اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الشيباني الجزري – دار صادر – بيروت – ٣ / ١٤٠